بمناسبة عيد موزار (Mozart)

تكريم النـــوابغ

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

في الوقت الذي وصل فيه العدد الأخير من الرسالة إلى أيدي القراء كان سكان مدينة سالزبرج (Salzburg) خاصة والنمسا وبون عامة قد انتهوا من عيدهم الذي يقيمونه سنوياً ذكرى للموسيقار النابغة (Mozart) الذي لم يطل عمره أكثر من ستة وثلاثين عاماً بذّ فيها جميع معاصريه الموسيقيين وأحدث في الموسيقى الغربية حدثاً عظيماً لا يمحوه الزمان. ولد هذا النابغة في ٢٧ من يناير سنة ١٧٥٦ في مدينة (Salzburg) مدينة الحدائق والجمال، ونشأ وترعرع في حضن والده ليوبولد الذي كان موسيقاراً في خدمة الكنيسة في تلك المدينة، وقد ظهر ميله إلى الموسيقى ولما يبلغ الثالثة من عمره، وبدأ في سن الرابعة يعزف بعض القطع الصغيرة وفي سن السادسة رحل مع والده إلى ألمانيا فحاز عزفه إعجاب الملوك والأمراء حتى أن الأمبراطور فرنسوا الأول أجلسه بجواره وسماه «الساحر الصغير» كما أن البرنسيس ماري أنتوانت التي صارت فيما بعد ملكة فرنسا رفعته بين ذراعيها لشدة إعجابها به، فقال لها الطفل عندئذ: «حقاً إنك لطيفة وعند ما أكبر سأتزوج منك» وفي سن السابعة بدأ يعزف على الكمان والأرغون في رحلاته مع والده كما بدأ يؤلف بعض قطع صغيرة. وفي أبريل من سنة ١٧٦٤ زار مع والده انجلترا. فكان إعجاب الأسرة المالكة به كبيراً، وقد أملى على الملكة قطعة موسيقية بن تأليفه، كما أنه أهدى إلى المتحف البريطاني مقطوعة أسماها «الله ملجأنا» «God is our refuge» ولما بلغ الحادية عشرة ألف أول أوبرا له أسماها «La finta Semplice» بناء على إشارة الأمبراطور جوزيف الثاني قالت عنها لجنة الفحص «إنه عمل لا يضارع» ومن ذلك الوقت أخذ يظهر حقد الموسيقيين عليه وهبوا يدسون له الدسائس في قصر الأمبراطور، فكان ذلك سبباً في البؤس والفاقة اللذين لازماه طول حياته تقريباً. غير أن هذا لم يمنعه من إبلاغ رسالته وإخراج تآليفه العظيمة أثناء جولاته في إيطاليا وغيرها من بلاد أوربا

وفي يوليه سنة ١٧٦٩ أي عند ما كانت سنه ثلاثة عشر عاماً تقريباً منحته أكاديمية بولونيا لقب «مؤلف» مع أن القانون يحرم منح هذا اللقب لمن هو أصغر من عشرين عاماً. ولقد كان عجباً أن يخرج هـــذا الصبي النمساوي المولد والنشأة واللغة في ٢٦ ديسمبر سنة ١٧٦٩ ولما يبلغ الرابعة عشرة من عمره أوبرا باللغة الايطالية في ميلانو أسماها «Mitridate Re di Ponto» أحرزت نجاحاً منقطع النظير، ومنذ ذلك الحين اعتبر هذا الفتى سيد الموسيقى وزعيمها. وفي سنة ١٧٧٣ وبعد أن عاد إلى مسقط رأسه أخرج أوبرا بمناسبة زواج البرنس فرديناند فاقت كل ما أخرجه قبل ذلك حتى قال عنه أكابر الموسيقيين «إن هذا الصبي سيجعلنا نسياً منسياً» وزاد حسدهم له وحقدهم عليه كما زادت دسائسهم عليه في قصر الامبراطور. وبالرغم مما كان يلاقي بسبب ذلك كله من ويلات، وما كان يعاني من ضيق وضنك، فانه استمر في اتمام رسالته بما كان ينفثه في الموسيقى من سحر، حتى اعترف له الجميع بأنه أدخل عليها تعديلات وتحسينات غيرت من طبيعتها. وكان أشد الحاقدين عليه في حياته «Salieri». ولما توفي في يوم ٥ من ديسمبر سنة ١٧٩١ مات معتقداً أن هذا الرجل هو الذي دس له السم في الدسم كما كان يعتقد الكثيرون، فراح بذلك نجيبة نبوغه وعبقريته. ولكن النمساويين الذين يقدرون الفضل لذويه إن كان فاتهم أن يواسوه في حياته، فلم يفتهم أن يكرموه بعد وفاته فلقد رأيت له تمثالين عظيمين رفع أحدهما بين القصر الامبراطوري ودار الأوبرا في فينا يحف به تلاميذه بآلاتهم الموسيقية ورفع الثاني في أفخم ميدان في مدينة «Salzburg». وهم فوق ذلك يقيمون لذكراه في هذه المدينة عيداً سنوياً في شهر أغسطس من كل عام حيث يهرع اليها أكابر الموسيقيين والممثلين من فينا وغيرها من بلاد النمسا لاقامة الحفلات وتمثيل مختلف الروايات، فتراها غاصة بالجماهير من مختلف الشعوب بين انجليز وأمريكيين وغيرهم. وقد بدأ عيد هذا العام يوم ٢٨ يوليه وانتهى يوم ٢ سبتمبر وكان لي حظ مشاهدة كثير من مظاهره في تلك المدينة الجميلة. وقد مثلت هذا العام في هذا العيد بعض الروايات المشهورة مثل Faust ،

[البقية في أسفل الصفحة التالية]